Al-Dirasat Al-Islamiyyah (Islamabad) 15-16:4-1 (1980-81

الهجرة والقرن الخامس عشر الهجرى

للاستاذ محمد جعفر شاه الفلوارى
كـــراتشـــى

بدأ الاسلام فى ارض مكة المكرمة التى فيها جبل حراء . وعلى حراء غار جاء فيه جبرائيل عليه السلام بالقرآن وهذا أول وحى نزل به الروح الامين . فمبدأ الاسلام هو مكة المكرمة. آمن به من آمن حتى صاروا أمة قليلة . لم يزالو فيها مقهورين مظلومين مغلوبين ضعفاء لا يدافعون ولا يذبـون عن اعـراضهم وأموالهم وانفسهم . وان الشدائد التى تحملوها تقشعر من ذكرها الجلود وترتعد من بيانها الفرائص . وما زالوا على تلك الحالة بضع سنين حتى اذن لهم فى الهجرة أول مرة الى الحبشة وأول وفد هاجر الـى ارض الحبشة كان فيهم سيدنا عثمان بن عفان سلام الله عليهما مع زوجته السيدة رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى أمته وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول رجل هاجر الى الله مع زوجه بعد لوط عليه الصلوة والسلام (أو كما قال عليه الصلاة والسلام)

فالمهاجرون الى الحبشة أمنوا اذى قريش مكة وأما المؤمنون الذيـن مكثوا فى مكة لم يأمنوا اذاهم بل زادوا ايلامهم وتعذيبهم . بقيت حالتهم هذه الى العام الثالث عشر من سنة النبوة . فأخذوا يهاجرون من مكة الى المدينة واحداً تلو الآخر . كلهم هاجروا خفية الا عمر بن الخطاب رضى الله عنه . فانه اعلن فى

© Dr Muhammad Hamidullah Library, IIU, Islamabad. http://iri.iiu.edu.pk/

مطاف الكعبة وفى يده قوس وسهام انى اهاجر علانية لاسرا فمن أراد أن تثكله امه فليلقنى خارج الحرم .

فهجرة أهل الاسلام من مكة الى المدينة بدئت من شهر المحرم ومن هذا الشهر ابتدأت السنة الهجرية التى امضاها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زمن خلافته ولم تكن قبل ذلك اية سنة اسلامية لاهل الاسلام .

وينشأ هناك سؤال انه لم لم يمض عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة غير سنة الهجرة ؟ كان يمكن له ان يمضي سنة ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم أو سنة بعثته أو سنة فتح بدر أو سنة فتح مكة أو سنة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من السنوات فلم ترك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل ذلك واختار سنة الهجرة ؟ اختارها لأن أحوال المسلمين كانت قد تحولت بعد الهجرة . كانوا مقهورين ضعفاء فى مكة ثم بعد ماهاجروا أصبحوا آمنين سالمين عن أذا هم وعذابهم وأعطاهم الله سبحانه نوعا من التمكن فى الأرض ولم يكن لهم من قبل ما يدافعوا به عن انفسهم وأموالهم وعشيرتهم حتى أذن لهم فى القتال بعد الهجرة وكذلك ازدادوا قوة وعددا وتمكنا وغلبة وقهرا ونصرة وانتصاراً . وأصبح أعداؤهم مغلوبين مقهورين مفتوحين الى ان اسلموا أوفنوا . . . . لذلك التحول ولتغير أحوال المسلمين اختار عمر بن الخطاب رضى الله عنه الهجرة النبوية سنة لاهل الاسلام وأجمعت الصحابة عليه بلا ادنى اختلاف رضوان الله عليهم أجمعين .

وفى الهجرة نكتة نادرة لا ينبغى لاحد من المسلمين ان ينساها . وهى أن الاسلام لا يتمّ ولا يكمل الا بعد الهجرة . فان الناس يفدون أموالهم وانفسهم واعراضهم وكل شيء يحبونه على وطنهم فكانّ الوطن الهيهم وان اهل الاسلام يفدون وطنهم على شيء أعلى من الوطن وهو وجه الله ورضاؤه سبحانه . فالوطن

عند عامة الناس اله اعلى من كل اله وصنم أحب من الاصنام كلها . فلا يستكمل الايمان الا بعد ماجعل هذا الصنم جذاذا . وليس الوطن بشيء عند أهل الاسلام الا ما كان لهم من الأرض يطيعون الله فيها ولا يصدهم أحد عن سبيل الله . ولذا نرى ان الانبياء هاجروا مع الذين أمنوا معهم . ولذلک قال الله سبحانه فى القرآن الكريم .

١) .... والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ... (٨ : ٧٢) و (٤ : ٨٩) .

فهذه الآية الشريعة تشير الى ان مجرّد الايمان لايكفى وان المهاجرة واجبة لكل من آمن اذا وجدت شروطها .

وجدير بالذكر ان الله عزوجل احلّ للنبى صلى الله عليه وعلى أزواجه وسلم بعض النساء واشترط حلّتهنّ بشرط هجرتهن . قال الله تعالى :

٢) يايها النبى انا أحللنا لک ازواجک الّتى آتيت اجورهن وما ملكت يمينک مما افآء الله عليک وبنت عمک وبنٰت عمّتک وبنٰت خالک وبنت خٰلٰتک الّتى هاجرن معک ... (٣٣ : ٥٠) .

فبنات العم والعمات والخال والخالات حلال لنا وليس بحلال للنبى صلى الله وعلى أزواجه وسلم الا اذا هاجرن بعد ما اسلمن . ولذا لم تحل له صلى الله عليه وعلى أزواجه وسلم أم هانى وهى بنت عمه لانها لم تسلم الا بعد الفتح ولم تهاجر مع النبى صلى الله عليه وعلى أزواجه وسلم . وبناء على هذه الآية نقول ان اخاها عليا رضى الله عنه بن عبد مناف لم يكن يجهل مافى هذه الآية ولم يعرض على النبى صلى الله عليه وعلى ازواجه وسلم نكاح اختها رضى الله تعالى عنها

لانها حرمها الله تعالى عليه صلى الله تعالى عليه وعلى أزواجه وسلم .

فكل ما قلنا آنفا . يكفى لكون الهجرة من أهم الأمور الايمانية اذ لا يستكمل الايمان بدونه . ولا تصح ولا يتهم لاهل الاسلام ولا تحل للنبى صلى الله عليه وعلى أزواجه وسلم امرأة لم تهاجر ولو كانت من بنات العم أو العمات أو الخال أو الخالات .

وبعد ماظهر كون الهجرة من أهم الاجزاء الدينية ظهر بدون أدنى تأمل فضائل أصحاب الهجرة . واذا ترى ان الله سبحانه مدح و ذكر فضائل الانصار الذين آووا المهاجرين ونصروهم تزداد أهمية الهجرة والمهاجرين . ثم اذا ترى أن الخلفاء الراشدين المهديين كلهم من المهاجرين يزيدون فى أعيننا عظمة وشانا وقدرا واحتراما .

هلموا ننظر بعض آيات القرآن التى ذكر الله فيها فضائلهم المميزة :

١) .... فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقتلوا لاكفرن عنهم سيأتهم ولا دخلنهم جنّت تجرى من تحتها الانهار ... (٣ : ١٩٥)

٢) ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئک هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم (٨ : ٧٤)

٣) الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله وأولئک هم الفائزون (٩ : ٢٠) .

٤) والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر ... (١٦ : ٤١) .

٥) والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين . ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم . (٢٢ : ٥٨ ، ٥٩) .

٦) والسبقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم بأحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنّٰت تجرى تحتها الانهر خلدين فيها ابدا ذلک الفوز العظيم . (٩ : ١٠٠) .

وحسبنا شهادة هذه الآيات من كتاب الله بفضائل المهاجرين وأنهم كفر عنهم سيأتهم وأنهم يدخلون جنات الخلد وأنهم مؤمنين حقا وهم أحق بالمغفرة والرزق الكريم واعظم درجة عند الله فائزين واهلا لمبوأ حسن فى الدنيا وأكبر أجر فى الآخرة مرزوقين من عند الله رزقا حسنا داخلين مدخلا يرضونه راضين عن الله مرضيا عنهم معدا لهم جنات خالدين فيها وذلک الفوز العظيم . والذى ينكر أى فضيلة من هذه الفضائل ـــ والفضائل التى لم نذكرها ـــ فانه لا يبقى مسلما مؤمنا بالقرآن الكريم اياً كان فمن انكر ايّ نبى من الانبياء لا يكون مسلما وكذلک من انكر أى آية من آيات الكتاب لا يكون مؤمنا بالقرآن الكريم .

ومما هو جدير بالذكر انه لايستوى الذى ولد من الصحابة بعد الهجرة فى المدينة أو غيرها والمهاجرون المولودون من قبل الهجرة . ومن أمثلته سيدنا عبدالله بن الزبير الذى هو أول مولود بعد الهجرة .وأول شىء وقع فى فيه هو لعاب النبى صلى الله عليه وسلم . وله فضائل أُخرى ولكنه لا يستوى فى الدرجة أى رجل من المهاجرين لان الله سبحانه قال قولا فصلا . . . . أعظم درجة عند الله وأولئک هم الفائزون (٩ : ٢٠) . وهذا كما قال سبحانه :

١) لايستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله (٤ : ٩٥) .

٢) لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئک أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى . . . (٥٧ : ١٠) .

فلاتنسوا الفرق بينهما لن يستوى القاعدون والمجاهدون ولن يستوى الذين انفقوا وقاتلوا قبل فتح مكة والذين انفقوا وقاتلوا بعده فكيف يستوى الذين قاتلوا الكفار مع النبى صلى الله عليه وسلم والذين قاتلوا المؤمنين ؟ اذا تقاتل المسلمون فكل من الفريقين مؤمنون لايخرج من الايمان أحد من الفريقين . قال الله سبحانه .

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما . . . (٤٩ : ٩) .

فكل واحد من الطائفتين المقاتلتين مؤمنة عند الله لا تخرج من نطاق الاسلام أما الذين قاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم والذين معه فلا يكونون الا كافرين . فاذا تقاتل الفريقان من المسلمين فانه قتال بين الحقين أو على الاقل بين الحق وبين الأحق . لايكفر احدمنهما لايكون قتالهما قتالا بين الاسلام وبين الكفر ولا حربا بين النور وبين الظلمة ولا غزوة بين الحق وبين الباطل . ان مثل هذه الفكرة فكرة باطلة وظن واه وتصور لا أصل له . ليس بعد النبى صلى الله عليه وسلم أحد من الرجال يكون حربه كفرا مخرجا من الايمان .

وحاصل ماقلنا ان المهاجرين عليهم السلام والتحية لهم فضائل لاتعد ولا تحصى لأجل الهجرة من الوطن الميلادى الى الوطن الدينى . انهم تركوا وطنهم وديارهم أراضيهم وبيوتهم وأملاكهم وحوانيتهم وحدائقهم ومزارعهم

واقربائهم وعشيرتهم وكل شيء يحبه الانسان أنهم لم يتركوها الا لأبتغاء مرضاة الله . ان هذه الأشياء يتركها الانسان ويهجر وطنه لطلب المعاش ولطلب المرأة ولا بتغاء المناصب والمجد وغير ذلك من الاهداف والاغراض . فلا تكون هذه هجرة اسلامية . ليس معنى الهجرة فى لغة الاسلام بترك الوطن فقط أو بمحض الانتقال من أرض الى ارض انما الهجرة معناها ترك كل شيء يصد عن سبيل الله. وآخر شيء يهجره العبد خالصا مخلصا لوجه الله هو الوطن . قال النبى لوط عليه الصلوة والسلام : انى مهاجر الى ربى فما معنى الى ربى » ؟ انما معناه انى هجرت كل شيء لوجه الله ووجهت وجهى الى الله لايصد نى شيء عن طاعة ربى ـــ فمن وجه وجهه لله هجر كل شيء يصد عن سبيل الله . فهذه هى الهجرة . وكان يعرفه كل المعرفة أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوضحه على المنبر حيث قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انما الأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى فمن هاجر الى دنيا يصيبها أو الى أمرأة ينكحها فهجرته الى ماهاجر اليه ». وهذا هو العلم بحقيقة الهجرة الذى حث سيدنا عمر بن الخطاب على أمضاء سنة الهجرة النبوية بأزاء السنوات الأخر . وان الله اصطفاه للشهادة بأوّل يوم من شهر المحرم الحرام فانه هو بدأ السنة الاسلامية ، وها نحن فى القرن الخامس عشر . جعل الله هذا القرن الجديد مبدأ للفوز والنجاح للعالم الاسلامى آمين .

أيها الاخوة المسلون لا سيما الباكستانيون !عرفنا فضائل الهجرة والمهاجرين وعلمنا ان القرن الرابع عشر قد خلا وابتدأ القرن الخامس عشر فمالنا به ؟ وماذا نفعل ؟ وماذا يجب لنا اليوم ؟ مضى مامضى من القرون ، وخلا ماخلا من الزمن والاحقاب . لانستطيع رجع الزمان ولا نقدر على تغيير ما قد وقع . فاى فائدة من ذكر ما مضى اذا لم نعتبر به ولم نصلح ما أخطأنا فى الماضى ولم نزين مستقبلنا ؟

هلموّا نجعل هذا القرن قرن النشأة الثانية لأهل الاسلام . نعرض بين أيديكم بعض اقتراحات هامة لأهل الباكستان خاصة ولمسلمى العالم عامة .

فأول اقتراح وهو أهم الاقتراحات ان الليسانس ((Licience) اى الجواز القانونى للأسلحة يجب أن يلغى ويبطل ويمحى . أن الحكومة البريطانية كانت قد الزمت الليسانس لكى لا يكون لنا القدرة والقوة العسكرية فاستضعفتنا من كل جهة لئلا تكون القوة والتمكن الا لها . ونحن الآن على ذلك المنوال والطراز مع استقلال دولتنا ، وهذه علامة الاسترقاق الذهنى الذى لم نعتق منه .

الا نرى فى القرآن الكريم الذى أمرنا بأعداد القوة بالاسلحة ؟ قال سبحانه :

١) وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم ...(٨ : ٦٠) .

٢) يايها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا . (٤ : ٧١) .

٣) واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أوكنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم ... (٤ : ١٠٢) .

فانظروا الى هذه الآيات الكريمة وتدبروها . ان الله الذى فرض الصلوة وكتب القتال أوجب أخذ الاسلحة واعداد القوة الى حد الاستطاعة البشرية وما

أجاز وضع الأسلحة فى مواقع القتال الا اذا كان اذى من مطر أو اذى من مرض . الصلوة تقصر اذا خيف لقاء العدو ولكن لاتقصر شيء من الأسلحة . فالقتال وأخذ الأسلحة واجب للمسلمين كما ان الصلوة واجبة فهل يجوز اللسيانس للصلوة المكتوبة ؟ فاذا لم يجز اللسيانس للصلوة فكيف يجوز للاسلحة وكلاهما واجب على السواء ؟

ويقول بعض اخواننا ان الاسلحة اذا عمت فى القوم فيكثر القتل والقتال بين أنفسهم . فنقول ان هذا زعم باطل وظن السوء . لأنه ليس فى اميريكا ولا فى المناطق القبلية فى باكستان وافغانستان ليسانس فهل افنى هؤلاء الأ قوام أنفسهم بالقتال بين أنفسهم . فهذا ظن محض ومخافة لا أصل لها .

انظروا وتفكروا أن نهابا يدخل فى بيت أحدنا وفى يده مسدس محمل فينهب ما يشاء ولايجترئ صاحب البيت ان يتكلم . وان تكلم قتله النهاب لانه مسلح بدون ليسانس وصاحب البيت ليس عنده ليسانس للسلاح أو المسدس أو المدفع .

ومن اهم الامور التى تستحق التدبر ان المسلمين كل واحد منهم مجاهد جندى ومقاتل عسكرى ومكتوب عليه ان يعيش مسلحا كما انه مكتوب عليه الصلوة ومكتوب عليه القتال . اذا كانت عساكر الملک وجنوده لاتكفى فماذا يفعل القوم بغير أسلحتهم . كيف يدافعون عن أنفسهم وهم غير مسلحين الا انهم يخضعون بين ايدى أعدائهم مقهورين ؟

هذا اقتراح واحد من الاقتراحات العديدة ، سنذكرها بعد ان شاء الله سبحانه وتعالى وهذا للنشأة الثانية الاسلامية فى هذا القرن الخامس عشر . فهل من مدّكر ؟

★★★★★